وادي قباني

قرية وادي قباني – قضاء طولكرم

وادي قباني قرية فلسطينية مهجّرة من قرى قضاء طولكرم، كانت تقع على بعد نحو 12 كم إلى الشمال الغربي من مدينة طولكرم، وعلى ارتفاع يقارب 25 مترًا عن سطح البحر. قامت القرية على أرض مرتفعة نسبيًا وسط منطقة ساحلية منخفضة، وكانت المستنقعات تحيط بموقعها من الغرب والجنوب.

كانت وادي قباني تقع على بعد نحو 1.5 كم إلى الشرق من الطريق الساحلي العام، وترتبط به بطريق فرعية تمر بالقرية. وفي إحصاءات سنة 1945 بلغ عدد سكانها 320 مسلمًا، بينما بلغت مساحة أراضيها 9,812 دونمًا.

لا يُعرف تاريخ احتلال القرية وتهجير سكانها على وجه الدقة. ويرجح وليد الخالدي أن وادي قباني احتُلت في الأشهر الأولى من سنة 1948، في سياق سياسة الهاغاناه لإخلاء التجمعات العربية الساحلية شمال تل أبيب. وفي 8–10 نيسان/أبريل صدرت أوامر إلى وحدات الهاغاناه بإجلاء أو طرد سكان التجمعات الواقعة على المحور بين تل أبيب والخضيرة، ويرجح أن وادي قباني كانت ضمن نطاق هذه الأوامر.

موقع قرية وادي قباني

كانت وادي قباني تقع في السهل الساحلي ضمن قضاء طولكرم، على بعد نحو 12 كم شمال غربي مدينة طولكرم. وكان موقعها يرتفع نحو 25 مترًا عن سطح البحر.

وقامت القرية على بعد نحو 1.5 كم شرق الطريق الساحلي العام، وكانت طريق فرعية تمر بها وتربطها بالطريق الرئيسي، الأمر الذي أتاح الاتصال بالمراكز والقرى الساحلية المحيطة.

كانت القرية مبنية فوق موقع خربة الشيخ حسين، وهي نقطة مرتفعة نسبيًا في منطقة منخفضة كانت المستنقعات تحف بها من الغرب والجنوب.

القرى والمناطق المجاورة لوادي قباني

تظهر المصادر والخرائط الفلسطينية عددًا من القرى والمواقع في المجال الجغرافي المحيط بوادي قباني، ومن أبرزها قاقون، وادي الحوارث، خربة زلفة، الجلمة، وأم خالد، إضافة إلى الطريق الساحلي ومنطقة نتانيا غربًا.

غير أن المخططات الإلكترونية المتاحة للجوار تعرض بعض الاتجاهات بصورة مشوشة عند تحويلها إلى نص، لذلك لا يجوز تحويلها إلى جدول حدود دقيق بحسب الجهات الثماني من دون العودة إلى خرائط المساحة الأصلية. والأدق اعتبار الأسماء السابقة قرى ومناطق مجاورة أو قريبة من وادي قباني.

اسم وادي قباني

أطلق على القرية اسم «وادي قباني» نسبة إلى أسرة قباني اللبنانية، التي كانت تملك معظم أراضي المنطقة في مرحلة سابقة.

وتشير المصادر إلى وجود أفراد من الأسرة في المنطقة وإلى استمرار علاقة الأهالي بالأرض بالزراعة والاستئجار والتصرف فيها، إلا أن المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها لا تقدم سردًا كاملًا وموثقًا لانتقال كل قطعة من أراضي الوادي بين أصحابها عبر العقود.

خربة الشيخ حسين والآثار

بُنيت وادي قباني فوق موقع خربة الشيخ حسين الأثري. ويذكر وليد الخالدي أن الموقع احتوى على أدوات أو لقى قد يعود تاريخها إلى العصر الروماني.

وتصف الرواية المحلية الموقع أيضًا بأنه مرتبط بمقام للشيخ حسين الحارثي، لكن هذه المعلومة مستمدة من التوثيق المجتمعي الفلسطيني اللاحق، ولا تكفي وحدها لإثبات تاريخ المقام أو هوية صاحبه أثريًا.

وبذلك ينبغي التفريق بين وجود موقع أثري موثق في خربة الشيخ حسين وبين الروايات المحلية المتعلقة بالمقام وتسميته.

سكان قرية وادي قباني

السنة	عدد السكان	طبيعة الرقم / ملاحظات
1922	غير متاح بصورة مستقلة	لم يُعثر في المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها على رقم مستقل موثق لوادي قباني
1931	غير متاح بصورة مستقلة	المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها لا توفر رقمًا مستقلًا موثقًا
1945	320	إحصاء رسمي لحكومة فلسطين؛ جميعهم مسجلون كمسلمين
1948	371	تقدير ديموغرافي لاحق في فلسطين في الذاكرة، وليس تعدادًا رسميًا
1998	2,282	تقدير لعدد اللاجئين وذريتهم في فلسطين في الذاكرة
1998 – مصدر محلي آخر	2,828	رقم مختلف في موسوعة القرى الفلسطينية؛ وهو أيضًا تقدير لاحق وليس إحصاءً رسميًا

يثبت الجدول الرسمي للسكان في نيسان/أبريل 1945 أن سكان وادي قباني بلغوا 320 نسمة، وجميعهم من المسلمين. ولذلك فإن الرقم 210 الذي يتكرر في بعض الصفحات الثانوية على الإنترنت لا يتوافق مع الجدول الأصلي ولا يُعتمد في هذا المقال.

البيوت والعمران في وادي قباني

لا تتوافر في المصادر الأساسية التي تمت مراجعتها أرقام رسمية مستقلة لعدد بيوت وادي قباني في تعداد سنة 1931.

ويذكر وليد الخالدي أنه كان في القرية عشية الحرب ثلاثة منازل مبنية بالطوب. ولا ينبغي تفسير هذه العبارة على أنها تعني أن القرية بأكملها كانت مؤلفة من ثلاثة مساكن فقط؛ فالمصدر يحدد عدد المنازل المبنية بالطوب، ولا يقدم تعدادًا كاملًا لكل أنواع مساكن السكان.

وتشير الخلفية الاجتماعية المحلية إلى أن قسمًا من السكان كان ذا صلة بتجمعات وادي الحوارث والمجتمعات الريفية وشبه البدوية في المنطقة، وهو ما يستوجب الحذر من افتراض نمط عمراني قروي متراص مطابق للقرى الكبيرة.

ملكية أراضي وادي قباني

بلغ مجموع الأراضي المسجلة لوادي قباني سنة 1944/1945 نحو 9,812 دونمًا. ويعرض فلسطين في الذاكرة جدول

الملكية بالمصطلحات التالية:

نوع الملكية	المساحة بالدونم
فلسطيني	427
تسرّبت للصهاينة	9,276
مشاع	109
المجموع	**9,812**

أما الجدول الرسمي الذي يعرضه PalQuest فيستخدم الفئات الأصلية «عرب / يهود / عام»، ويعطي الأرقام نفسها: 427 دونمًا للعرب، و9,276 دونمًا لليهود، و109 دونمات من الأراضي العامة.

وهذا يعني أن القسم الأكبر من الأرض كان مسجلًا في فئة الملكية اليهودية بحلول سنة 1945، رغم استمرار وجود مجتمع فلسطيني في وادي قباني وزراعته جزءًا من الأراضي.

استخدام أراضي وادي قباني سنة 1944/1945

نوع الاستخدام	عرب	يهود	عام	المجموع بالدونم
الحمضيات والموز	0	46	0	46
الحبوب	408	8,057	0	8,465
غير الصالحة للزراعة	19	1,173	109	1,301
المجموع	**427**	**9,276**	**109**	**9,812**

وتتطابق المجاميع بصورة كاملة مع جدول الملكية.

ويحتاج عرض فلسطين في الذاكرة إلى تصحيح في فئة الأرض البور/غير الصالحة للزراعة؛ إذ يظهر رقم 128 دونمًا تحت العمود الفلسطيني، بينما يتضح من الجدول الرسمي أن هذا الرقم يساوي 19 دونمًا عربيًا + 109 دونمات من الأراضي العامة. ولذلك لا يجوز اعتبار كامل الـ128 دونمًا ملكية فلسطينية خاصة.

كما لم يسجل الجدول المتاح مساحة مستقلة للأرض المبنية، لذلك لا يُستخرج رقم لمساحة البناء من فئة أخرى.

الحياة الاقتصادية في قرية وادي قباني

كانت الزراعة أحد أهم موارد رزق السكان الفلسطينيين في وادي قباني، وتظهر إحصاءات سنة 1944/1945 أن 408 دونمات من الأراضي العربية كانت مخصصة لزراعة الحبوب.

وتشير المواد المجتمعية الفلسطينية اللاحقة إلى أن عددًا من سكان الوادي مارسوا تربية المواشي، وخصوصًا الجواميس، مستفيدين من كثرة المياه والمستنقعات في المنطقة.

وتنسجم هذه الرواية مع طبيعة الموقع الساحلي المنخفض ووجود المستنقعات غرب القرية وجنوبها، إلا أن التفاصيل المتعلقة بأعداد الجواميس أو حجم النشاط الرعوي لا تتوافر في إحصاء رسمي مستقل.

المياه في وادي قباني

كانت المستنقعات من أبرز ملامح البيئة المحيطة بوادي قباني، إذ أحاطت بخربة الشيخ حسين من الغرب والجنوب.

ويذكر التوثيق المجتمعي الفلسطيني أن في المنطقة ثلاث عيون ماء كانت تُستخدم للشرب وري الأراضي، ومن بينها عين عرفت باسم «عين الجواميس» أو «عين أبو مريم».

وترتبط تسمية عين الجواميس، في الذاكرة المحلية، باستخدامها لسقي الجواميس التي كان يربيها بعض السكان.

هذه التفاصيل مستمدة أساسًا من التوثيق الشفوي والمجتمعي اللاحق، ولذلك تُذكر باعتبارها جزءًا من ذاكرة أهالي القرية لا بوصفها قائمة رسمية كاملة لمصادر المياه.

العائلات وعلاقة وادي قباني بوادي الحوارث

تذكر مصادر فلسطينية محلية أن بعض سكان وادي قباني كانوا من عائلات مرتبطة بوادي الحوارث، إضافة إلى أفراد أو عائلات ارتبطت بقاقون ومناطق مجاورة.

ومن الأسماء التي تتكرر في التوثيق المجتمعي لوادي قباني ووادي الحوارث: أبو مريم، أبو خليفة، أبو عجاج، وغيرها. كما توجد وثائق عائلية منشورة، من بينها إيصالات ضرائب وعقود وضمانات زراعية، تشير إلى حياة بعض هذه الأسر في الوادي خلال فترة الانتداب.

لكن وادي قباني تظهر في إحصاءات سنة 1945 وفي كتاب وليد الخالدي كوحدة قروية مستقلة عن وادي الحوارث الشمالي والجنوبي، ولذلك يجب عدم دمج أرقام سكانها أو أراضيها مع أرقام وادي الحوارث.

التعليم في وادي قباني

لا تقدم المصادر الأساسية المعتمدة التي تمت مراجعتها معلومات موثقة عن وجود مدرسة نظامية مستقلة في وادي قباني.

كما لا تتوافر معلومات كافية لتحديد المدرسة التي كان أطفال القرية يقصدونها خارج الوادي إن وجد ذلك. لذلك لا يُنسب إلى القرية مبنى مدرسي أو تاريخ تأسيس أو عدد طلاب من دون مصدر موثق.

الحياة الدينية

يسجل جدول السكان الرسمي لسنة 1945 جميع سكان وادي قباني البالغ عددهم 320 نسمة كمسلمين.

ولا يقدم وليد الخالدي معلومات كافية عن مسجد مستقل في القرية. أما التوثيق المحلي فيذكر مقامًا للشيخ حسين الحارثي قرب خربة الشيخ حسين، لكن تاريخ المقام وتفاصيله لا تتوافر في المصدر الأساسي؛ لذلك تبقى هذه المعلومة ضمن نطاق الذاكرة المحلية.

وادي قباني قبيل النكبة

كان موقع وادي قباني يقع في منطقة ساحلية شهدت توسعًا كبيرًا في الاستيطان الصهيوني قبل سنة 1948، وهو ما يظهر بوضوح في إحصاءات ملكية الأرض.

فبحلول سنة 1945 كانت 9,276 دونمًا من أصل 9,812 دونمًا مسجلة ضمن فئة الملكية اليهودية، مقابل 427 دونمًا عربية و109 دونمات عامة.

وفي سنة 1947 أُنشئ كيبوتس هعوغن في موقع القرية بحسب وليد الخالدي، أي قبل التهجير النهائي للسكان الفلسطينيين سنة 1948.

وتجعل هذه الحالة من الضروري التفريق بين انتقال أو تسجيل ملكية الجزء الأكبر من الأراضي قبل النكبة، وبين وجود السكان الفلسطينيين أنفسهم واستمرارهم في الوادي حتى أحداث سنة 1948.

احتلال وادي قباني وتهجير سكانها

لا يُعرف تاريخ احتلال وادي قباني وتهجير سكانها على وجه الدقة.

تضع فلسطين في الذاكرة تاريخ 1 آذار/مارس 1948 في رأس صفحة القرية، وتكرره بعض المصادر الفلسطينية المحلية، إلا أن وليد الخالدي لا يقدم حدثًا عسكريًا محددًا يثبت سقوط القرية في ذلك اليوم.

وبدل ذلك، يقول الخالدي إن من الأرجح أن وادي قباني احتُلت خلال الأشهر الأولى من الحرب، اعتمادًا على ما جرى في التجمعات العربية الساحلية المجاورة.

ففي آذار/مارس ونيسان/أبريل 1948 انتهجت الهاغاناه سياسة لإخلاء التجمعات العربية الساحلية الواقعة شمال تل أبيب. وخلال الفترة بين 8 و10 نيسان/أبريل أصدرت القيادة العامة للهاغاناه أوامر إلى وحداتها بإجلاء سكان القرى والتجمعات العربية الواقعة على المحور بين تل أبيب والخضيرة، أو طردهم بالقوة عند الحاجة.

ولأن وادي قباني كانت تقع تقريبًا في منتصف هذا المحور، يرجح الخالدي أنها وقعت ضمن نطاق هذه الأوامر، كما

حدث في عرب النفيعات المجاورة التي أُمر سكانها بالمغادرة في 10 نيسان/أبريل.

لكن هذه القرائن لا تسمح بتحويل 8–10 نيسان إلى تاريخ احتلال مؤكد لوادي قباني نفسها. ولذلك فالصياغة الأدق هي أن الاحتلال والتهجير وقعا على الأرجح في آذار أو نيسان 1948، في سياق حملة الهاغاناه لإخلاء الساحل، مع بقاء التاريخ الدقيق غير معروف.

«التنظيف الساحلي» والوحدة العسكرية

تستخدم فلسطين في الذاكرة عبارة «التنظيف الساحلي» في خانة العملية العسكرية الخاصة بوادي قباني.

إلا أن الرواية التفصيلية لوليد الخالدي لا تقدمها كعملية عسكرية رسمية ذات اسم ورقم زمني محددين، بل تتحدث عن سياسة وأوامر عامة للهاغاناه بإخلاء التجمعات العربية الساحلية الواقعة بين تل أبيب والخضيرة.

لذلك يستخدم هذا المقال عبارة «حملة أو سياسة إخلاء الساحل» في وصف السياق العسكري، بدل التعامل مع «التنظيف الساحلي» كعملية رسمية مستقلة على غرار عملية يفتاح أو داني.

أما الوحدة العسكرية التي يمكن إثباتها فهي الهاغاناه على المستوى العام. ولا يحدد المصدر الأساسي لواءً أو كتيبة بعينها باعتبارها القوة التي دخلت وادي قباني، ولذلك لا يُنسب احتلالها إلى لواء محدد من دون توثيق إضافي.

تسلسل الاحتلال

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
توسع الاستيطان في الموقع	1947	أُنشئ كيبوتس هعوغن في موقع وادي قباني قبل التهجير النهائي للسكان الفلسطينيين.
تاريخ مختلف في فلسطين في الذاكرة	1 آذار/مارس 1948	يظهر في رأس صفحة القرية وبعض المصادر المحلية، لكن وليد الخالدي لا يوثق حدثًا عسكريًا محددًا في وادي قباني في هذا اليوم.
سياسة الهاغاناه لإخلاء الساحل	آذار–نيسان/مارس–أبريل 1948	اتبعت الهاغاناه سياسة عامة لاقتلاع أو إخلاء التجمعات العربية الساحلية شمال تل أبيب.
أوامر القيادة العامة للهاغاناه	8–10 نيسان/أبريل 1948	صدرت أوامر بإجلاء أو، عند الحاجة، طرد سكان التجمعات العربية الريفية الواقعة بين تل أبيب والخضيرة.
طرد عرب النفيعات المجاورة	10 نيسان/أبريل 1948	توثق PalQuest أمر الهاغاناه لسكان عرب النفيعات بالمغادرة، وهو ما يستخدمه الخالدي قرينة لفهم ما جرى في وادي قباني، لا دليلًا على تطابق التاريخين.

المرحلة	التاريخ	التفاصيل
احتلال وتهجير وادي قباني	التاريخ الدقيق غير معروف؛ يرجح في الأشهر الأولى من 1948	يرجح وليد الخالدي أن القرية وقعت ضمن نطاق سياسة وأوامر طرد التجمعات العربية الساحلية، لكن لا توجد رواية تفصيلية تحدد يوم الاحتلال.
زوال عمران القرية	بعد التهجير؛ التاريخ الدقيق غير موثق	اختفت مساكن القرية لاحقًا، ولا يعطي المصدر الأساسي تاريخًا واحدًا موثقًا لتدميرها.

اللاجئون من وادي قباني

يقدر فلسطين في الذاكرة عدد سكان وادي قباني سنة 1948 بنحو 371 نسمة، وهو تقدير ديموغرافي لاحق وليس تعدادًا رسميًا.

أما عدد اللاجئين وذريتهم سنة 1998 فتختلف فيه المصادر الفلسطينية الإلكترونية: يعطي فلسطين في الذاكرة رقم 2,282، بينما تورد موسوعة القرى الفلسطينية رقم 2,828.

وبسبب هذا الاختلاف لا يمكن تقديم أحد الرقمين بوصفه حصيلة رسمية أو نهائية من دون مصدر ديموغرافي مستقل يحسم المسألة.

وتشير المواد المجتمعية إلى وجود لاجئين من وادي قباني في مخيمات طولكرم ونور شمس وبلاطة، وكذلك في الأردن، لكن هذه المعلومات ذات طبيعة محلية ولا تشكل تعدادًا شاملاً لجميع أبناء القرية.

المستعمرات الإسرائيلية على أراضي قرية وادي قباني

المستعمرة	سنة الإنشاء	علاقتها بوادي قباني
هعوغن / Ha'Ogen	1947	يذكر وليد الخالدي أنها أُنشئت في موقع القرية نفسه قبل النكبة

وتربط مصادر فلسطينية محلية أيضًا مشمار هشارون وكفار حاييم وبيت هليفي وكفار مونش بأراضي وادي قباني أو بالأراضي المتداخلة مع القرى المحيطة.

إلا أن وليد الخالدي لا يسجل هذه المستعمرات جميعها بصورة مستقلة بوصفها منشأة على أراضي وادي قباني تحديدًا؛ ولذلك لا تُدرج هنا في الجدول نفسه من دون تحقق عقاري إضافي. المستعمرة التي يمكن إثبات علاقتها بالموقع بثقة من المصدر الأساسي هي هعوغن.

قرية وادي قباني اليوم

وفق الوصف الميداني المنشور في كتاب وليد الخالدي، كانت منازل وادي قباني قد زالت ولم يبق منها أثر ظاهر.

وكانت شجرتا شوك المسيح تنموان قرب موقع مقبرة القرية، بينما كان موقع المقبرة قد حُوّل إلى ملعب للأطفال تابع للكيبوتس، ولم تكن معالم القبور ظاهرة عند إجراء المسح.

هذا الوصف لا يمثل تحققًا ميدانيًا مباشرًا لحالة وادي قباني في سنة 2026. فقد أُجري العمل الميداني لمشروع «كي لا ننسى / All That Remains» بين سنتي 1987 و1990، قبل صدور الكتاب سنة 1992.

وتوجد في فلسطين في الذاكرة مواد مجتمعية أحدث، من بينها توثيق وزيارات لعين الجواميس وعين أبو مريم منشورة خلال السنوات 2020–2023. وتساعد هذه المواد في حفظ ذاكرة مصادر المياه وبعض معالم المكان، لكنها لا تشكل مسحًا ميدانيًا مستقلاً وشاملاً لكل أراضي القرية أو تحققًا حديثًا من حدودها العقارية.

المصادر

- PalQuest – الموسوعة التفاعلية للقضية الفلسطينية: وادي قباني
- فلسطين في الذاكرة – وادي قباني، قضاء طولكرم
- فلسطين في الذاكرة – وادي قباني من كتاب كي لا ننسى لوليد الخالدي
- مؤسسة الدراسات الفلسطينية – وليد الخالدي، كي لا ننسى / All That Remains
- Government of Palestine Village Statistics, April 1945 – جدول السكان الرسمي
- موسوعة القرى الفلسطينية – وادي قباني؛ للمعلومات المحلية والتوثيق المجتمعي
- فلسطين في الذاكرة – توثيق محلي لوادي قباني وعيون الماء وتربية الجواميس
- فلسطين في الذاكرة – توثيق محلي لعائلات وادي الحوارث ووادي قباني
- PalQuest – منهجية ومصادر البحث الميداني في All That Remains